



د.سيد دسوقي: التنمية التي يفرضها الغرب علينا تزيدنا تخلفاً

الخميس 21 من محرم 1428 هـ - 8-2-2007م الساعة 12:21 م مكة المكرمة 09:21 ص جرينتش



- نحن لا نخطط لمستقبلنا، وإن خططنا له فإننا نضع هياكل ناقصة.
- التنمية من المنظومات الناقصة في بلادنا.
- نحن نطحن الناس في نظم تعليمية لا تعرف هدفا تنمويا واضحا.
- لا ينبغي أن نتبنى خدمات وسلعاً يصنعها لنا غيرنا.
- الأصل في الأشياء هو التدريب، والتعليم يعد الفرد لنوع من التدريب.
- منظومة التعليم غير السليمة تنتج مشكلات معقدة وتصل بنا إلى البطالة.
- لا بد أن تعود الأمة إلى سياسة الوقف لمساندة التنمية الصناعية.
- يجب أن يظهر في بلادنا المال المغامر الذي يتحدى بمشروعاته المجهول.

حاورته/ د. ليلي بيومي

الدكتور سيد دسوقي حسن رئيس قسم هندسة لطيران بكلية الهندسة جامعة القاهرة ورئيس هيئة تنمية الابتكارات باتحاد المنظمات الإسلامية تلميذ للمفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي فقد قرأ بشغف واستوعب كل ما قاله أستاذه ف وبعد ذلك انشغل تماماً بالموضوع الرئيسي الذي تتلمذ على يد أستاذه فيه وهو "الفقه الحضاري" ولكنه لا يكتب في موضوعه من الناحية النظرية فقط بل يقدم نماذج تنموية واقعية وخطا تنموية تناسب الواقع العربي والإسلامي.

ونحن في هذا اللقاء نقترح من فكر الرجل ونضعه أمام فقهاء التنمية في بلادنا لعله يفيدهم.

**\* موضوعكم الأساسي الذي يشغلكم هو "الفقه الحضاري" ماذا تقصدون بهذا المصطلح؟ ي**  
ي ي ي ؟

\*\* الفقه الحضاري هو فقه الانبعاث من الواقع الراهن بطروفه المفروضة علينا والاعتناق منه إلى واقع آخر مستخدمين في ذلك فكارا معيناً وأدوات معينة.

إن المجتمع العربي الإسلامي في انبعاثه الأول لم يكن مجتمعا ذا حضارة فكيف صنع حضارته؟ أول الانبعاث حدث في العصر العباسي لذلك فعلى أن نقارن بين ظروفنا الآن وظروف المجتمع في العصر العباسي. إن المسلمين في العصر العباسي كانوا يترجمون نتاج حضارة توقفت أما نحن الآن فنترجم نتاج حضارة حية وإذا قلنا إن مشكلة الأمس هي مشكلة اليوم وهي الترجمة فالطرفان مختلفتان والحضارتان مختلفتان فمن ثم يحتاج الأمر إلى شيء من الفقه أي ماذا نترجم ولمن نترجم؟.

كذلك فإن المسلم في العصر العباسي كان مشغولا بالنمو الحضاري بينما نحن الآن قضيتنا هي الاعتناق من التخلف والتبعية في وقت نجد فيه كل الأسلحة في وجوهنا تمنعنا من التقدم خطوة

واحدة.

إننا في عالمنا الإسلامي لا نخطط لمستقبلنا وإن خططنا له فإننا نضع هياكل ناقصة ثم نسأل بعد ذلك أين الدواء؟ والدواء هو في المنظومة المفقودة أو في المنظومة الناقصة ولو انتبهنا إلى ذلك لوضعنا أيدينا على كثير من العلل.

\* ه ؟ ي ي ي ؟ ي ؟

\*\* التنمية ليست بعيدة عن الفقه الحضاري بل هي صلب اهتماماته والتنمية من المنظومات الناقصة في بلادنا فهي منظومة يعهد بتصميمها في بلادنا لرجال الاقتصاد وهم إن كان لهم دور لا ينكر في مثل هذا التصميم ولكنه جزء من كل ف ومن ثم يأتي التصميم دائماً ناقصاً ونعاني من تدهورنا الاقتصادي والتنموي معاً بدلاً من أن يحدث الانطلاق والاعتاق .

إن آية واحدة في سورة النحل تعطينا الفلسفة الأساسية للتنمية وهي قوله تعالى: [وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ف ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس ف إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون].

فالله تبارك وتعالى ألهم النحل أمورا ثلاثة: كيف يسكن ف وكيف يأكل ف وكيف يكون حرأف وهذه الأمور لو تحققت فسوف تعطي هذه الحشرة الصغيرة للإنسانية عسلاً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس. فهل يمكن أن نقول: إن هذا هو المفهوم النحلي للتنمية وما الذي يمنع الناس أن يكونوا كالنحل؟ وما دور الدولة وأنظمتها في هذا المنع؟ وما دور النظم القانونية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية في منع الناس من أن يكونوا كالنحل؟ ومتى تخلي الدولة بين الناس وترابهم الوطني ليتفاعلوا معه؟. إن الدولة إذا وضعت من القوانين والأنظمة المتعارضة والمتضاربة في مجالات الحياة المختلفة ما يعوق الإنسان عن التفاعل مع ترابه الوطني فلا تسأل بعد ذلك عن تنمية.

ونحن يمكن أن نضع تصوراً للتنمية يوضح الهيكل الحضاري لها ف وأول شيء في هذا الهيكل هو

تصور فلسفة التنمية وتحديد أحد الخيارات الثلاثة: أي هل نحن نريد تنمية بقاع أو تنمية نماء أو تنمية سبق أو اختيار نسبة معينة من كل منهم تناسب حال الأمة أو المرحلة التي تعيشها وبينتو ذلك التعرف على الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة مع الأخذ في الاعتبار مجموعة من الضوابط الحضارية حتى لا تستنفذ الإمكانيات وتلوث البيئة وتورث الأجيال التالية ضياعاً.

ثم يأتي في المرحلة الثالثة تخطيط لعالم الأشياء سواء كان ذلك في الملابس أو المسكن أو المأكل وما حول ذلك من عالم الأشياء خادم. ويأتي في المرحلة الرابعة تدريب العنصر البشري على صناعة عالم الأشياء الخاص بنا مع التقليل قدر الإمكان من الاعتماد على الخارج ثم يصاحب التدريب دائماً نظام تعليمي يعين الناس على القدرة التدريبية. ونحن هنا نضع التدريب قبل التعليم حتى يتحدد هدف التعليم بوضوح وحتى لا تتكرر المأساة الدائمة في العالم الإسلامي والتي تطحن الناس في نظم تعليمية لا تعرف هدفاً تنموياً واضحاً فإذا مضت المنظومة كما أسلفنا نكون قد استعدنا استعداداً جيداً لتحقيق عالم الأشياء وتصنيعه.

\*  
ي ي ي  
ي ي ي ؟

\*\* أولاً يجب أن نقارن بين نموذجين النموذج الأول عشناه في الماضي حيث كنا نزرع طعامنا ونغزل صوفنا ونسج ملابسنا ونعمل في الزراعة وفي هذه الحرفة وكنا نعتمد على أنفسنا ولا نمد أيدينا خارج القرية.

والنموذج الثاني هو ما نراه اليوم في القرية التي هجرت العمل واستراحت في انتظار أن يأتيها كل شيء من المدينة وفي المدينة أيضاً نجد الملايين في الصباح على ظهور القطارات والسيارات ذاهبون للعمل ولا يعملون شيئاً ومهمتهم هي السفر الدائم وعلماء المدينة لا يكفون عن العمل ويحملون أوراقهم لينشروها في الصحف أما تطوير المصانع وإنشاؤها فلا دخل لهم بذلك.

ي ي :

**٢ :** وتتلخص في الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية وعزائم الرجال من أجل تحقيق اكتفاء كريم من متطلبات الحياة الأساسية مع الاهتمام بنظافة البيئة وعدم تلويثها. وهذا النمط يصنع كله بأيدي الناس فمقللين ما استطعنا من الميكنة. لكن ما هي طبيعة الأعمال في هذا النمط وما طبيعة التعليم الذي يصاحبه؟ للإجابة على ذلك نضرب المثال التالي: في منطقة زراعية يتوفر فيها الماء والأرض الصالحة فإننا نرسم خريطة الأعمال المطلوبة لتحقيق تنمية البقاء سواء كانت أعمالا زراعية أو تصنيع منتجات زراعية أو خدمات زراعية أو تربية حيوانية وحينئذ نصمم مناهج التعليم نعطيها بعدا بيئيا يعين الطالب أن يتفاعل مع بيئته وما أن يبلغ الطالب السادسة عشرة حتى يكون قد امتهن مهنة هو قادر عليها فإن شاء أن يكمل دراسته في نفس ميدانه وكان قادرا على ذلك ماديا وعلميا نوفر له الفرصة وبذلك يسهم الطالب في خريطة الأعمال الخاصة بتنمية البقاء.

**٣ :** وفيه يبني عالم أشياء من النوع السائد في الحضارة المعاصرة وخاصة الضروري منه مما يتعلق بوسائل الدفاع واستخراج كنوزنا المدفونة وتصنيعها وما يستتبع ذلك من نظام تعليمي وتربوي وبحثي وورغم أن هذا النمط من التنمية إذا أحسن إعداده قادر على استيعاب كل أفراد الأمة في العمل إلا أننا في عالمنا البائس نتوجه إلى استيراد عالم الأشياء دون أن نصنع فتضيع علينا فرصة العمر في عملية التعليم والتدريب. وفي هذا النمط لا ينبغي أن نتبنى خدمات يصنعها غيرنا لنا فمثلا تستطيع البرامج المتقدمة في تنمية النماء تصنيع طواحين هوائية مناسبة لرفع المياه وتوليد الكهرباء بحيث يمكن تصنيعها في ورش صغيرة كما يمكن استنباط أنواع جديدة من السلالات يتدرب عليها المزارعون كما يمكن عمل بحوث لتصنيع الطوب من طفلة متوفرة وتصميم منزل قروي مناسب وتطوير الآلات اليدوية أو نصف الميكانيكية في خدمة الزراعة والصناعات الزراعية.

**٤ :** فينبغي أن نجد لأنفسنا بعض الميادين التي نستطيع أن ننجز فيها شيئا ونحن بالتأكد نستطيع أن نسبق في ميادين ثقافية وسياحية وتكنولوجية لكن القضية هي أن نحدد ما نستطيع أن ندخل فيه سباقا ثم نعدو فيه تعليما وتدريباً وإنتاجاً واضعين في الاعتبار أن ثمة أسواقا متحيزة لنا هي الأسواق العربية والإسلامية.

**\* تولون التدريب مكانة كبيرة في منظومتكم الحضارية.. فأين مكانة التعليم على خريطة اهتمامكم؟.**

\*\* التعليم هو أداة المجتمع لتحقيق أمرين في الأول: يتعلق ببث الأشواق الحضارية والنماذج الثقافية للمجتمع في أفئدة الناس والثاني: يتعلق بإعداد الأفراد علميا لتقبل البرامج التدريبية على المهن والحرف والنشاطات المتعلقة بالعمران.

ونحن نفتقد في عمليتنا التعليمية أمرين: الأول الوجهة والقصد الثقافي والتمويذ والثاني المؤسسات التدريبية التي تأخذ بأيدي الناس على تعليم حرف ونشاطات حياتية بحيث تتدرج هذه المؤسسات صعودا وهبوطا من مهن وحرف لا تحتاج إلى تعليم كثير إلى نشاطات علمية دقيقة.

ففي بلد مثل سويسرا يدخل الأطفال التعليم في مرحلة أساسية يتلقون فيها الثقافة الأساسية التي ينبغي على كل سويسري أن يشربها حتى إذا أتوا تسع سنوات في هذا التعليم ذهب أكثر من 90% منهم إلى مدارس التعليم الفني حيث يتدربون ويتقنون مهنا وحرفا مطلوبة في المجتمع ويواصل 7% التعليم الثانوي حتى إذا أنهوا هذا التعليم ذهب أقل من نصفهم إلى التعليم الجامعي والنصف الآخر إلى معاهد تدريبية. أي أن أكثر من 95% يذهبون إلى مجالات التدريب على مهن بعينها مطلوبة في المجتمع.

والأصل في الأشياء هو التدريب ويقوم التعليم بإعداد الفرد لنوع ما من التدريب والتدريب المتقدم يحتاج إلى تعليم متقدم والتدريب البسيط يحتاج إلى تعليم بسيط.

\*  
...  
هـ  
؟

\*\* المشكلة حينما تتعددت تتحول إلى مشكلات كثيرة في آن واحد فمشكلة منظومة التعليم غير

السليمة تنتج مشكلات كثيرة معقدة وتصل بنا إلى البطالة. إننا قبل خمسين عاما كان نظامنا الحياتي قد استقرت أموره في إطار تنمية البقاء وما تبعها واستقر معها نظام تعليمي وتربوي فممنظومة التعليم والتدريب حينئذ لم تكن ممنظومة حكومية بأسرها فآلاف الورش تخرج آلاف العمال الذين يصنعون لنا ما قنعنا به من احتياجات وآلاف الكتاتيب تدفع بالملايين إلى الحقول ليصنعون طعامنا وتدفع بعض مئات أو آلاف إلى التعليم الحكومي أو الأزهري حيث تتكون طبقات من الوعاظ والقضاة والإداريين.

والآن أصبحت هذه الملايين كلها في قبضة التعليم العام الذي دفع بها ومازال يدفع بها إلى الشارع حيث لا تستطيع أن تطعم نفسها ولا تصنع ثيابها ولذلك فإنني أتحدث في هذا الصدد عن "المدرسة الشاملة وتقنية التعليم" ونعني بالمدرسة الشاملة تلك التي نسمح فيها بقدر من الحرية الدراسية فيما يتعلق بالمواد التقنية وكميتها مقارنة بالمواد الإنسانية الأخرى والإضافات التقنية سوف تتلون بالبيئة المحيطة. ولتحقيق هذه الإضافات لا بد من مشروع لتوصيف الحرف والمهارات توصيفا يتناسب مع قدرات الطلاب وينمو معهم. فمثلا يكون توصيف مهارات السباكة لطالب الابتدائي بحيث تصبح عنده القدرة على إصلاح حنفيات المنزل ثم نزيد الجرعة في الإعدادي حيث يصبح قادرا على تركيب سباكة المنزل كاملة ثم نزيد الجرعة في الثانوي حيث يصبح هذا الطالب قادرا على تركيب شبكات معقدة. وعملية توصيف الحرف والمهارات البيئية يمكن أن تصاحبها صناديق الحرف والهوايات التي إن عجزت الدولة عن توفيرها فيمكن للطلبة شراؤها والتدريب عليها في المنزل والمدرسة.

وفي مدرسة ساحلية مثلا يمكن أن تكون الإضافات التقنية متعلقة بصيد الأسماك وحفظها وتعليبها وفي بناء القوارب وصناعة أدوات الصيد وما تستلزمه الصناعات السمكية.

وتنظيميا يمكن للإدارات التعليمية أن تضطلع بوضع المناهج التقنية في منطقتها بما يتناسب مع بيئتها الخاصة ويبقى بعد ذلك البعد الثقافي والحضاري في العملية التعليمية الذي ينبغي أن تقوم عليه وزارة التربية والتعليم حتى تضمن وحدة الأمة الثقافية والحضارية وذلك من خلال وضع خريطة لعالم أشياء مطلوب.

وتأتي مثلا جهة مثل وزارة الصناعة لتقوم بترجمة هذه الخريطة من المشاريع وتوزعها على أساتذة الجامعات والعاملين في مراكز البحوث الصناعية والتي هي غير موجودة الآن وترتبط بهذه المشروعات مجموعات مختلفة تعمل على تطويرها.

من أجل ذلك يجب العمل على تقنية التعليم بحيث يزداد الجزء التقني ثم يليه الجزء التصميمي ثم يليه الجزء التعليمي بنسب مناسبة لأوضاعنا الخاصة في هذه المرحلة. فمثلا إذا كان مطلوباً مساعد كهربائية فإن دورنا الآن في هذه المصانع لا يتعدى صنع الكابتن وكل شيء سوى ذلك مستورد ولنا أن نتصور أننا نصنع جهاز التحكم وجميع المجسات وأننا نصنع التروس والمحرك إن كمية البحوث والمشاريع وما يتفرع عنها من أعمال للمهندسين والفنيين والعمال حينئذ ستكون كبيرة والعدد حينئذ سيكون عشرة أضعاف الموجودين حالياً.

والأمر ليس صعباً لقد قمت بتجربة في قسم هندسة الطيران بجامعة القاهرة وصنعنا جهازاً للتحكم في المصاعد تكلف ثلاثمائة جنيه مصري بينما يتكلف مثيله حوالي عشرة آلاف جنيه ما الذي يمنع أن نفعل ذلك في كل شيء؟ إن الإجابة على ذلك تقول: إن هناك غياباً كاملاً للمنظومة البشرية التي تسيطر على صنع القرار من أول اختيار عالم الأشياء مروراً بترجمته إلى مجموعة من المشاريع العلمية والتطويرية وانتهاءً بعمليات التصنيع المختلفة.

\*  
ي ي ي ي ي ي ؟  
ي ي ؟

\*\* كنت في معارك الصبا أجادل إخواني العلمانيين حول الثقافة فأجرح بها إلى مزيد من الإرهاق في التراث كرد فعل لإغراقهم مضامينهم الثقافية في الأبعاد الترويحية أو تقديسهم للوثنية التاريخية فلما اشتد العود الثقافي بفضل الله ونأينا عن معارك ردود الأفعال تبين أن دور الثقافة في الأمة هو طيف ذو سبعة عناصر:

: هو أن الثقافة لا بد أن تعمل على تقوية النسيج الاجتماعي للأمة مرتكزة على البعد



الإيماني فينبغي أن تدرس بدقة كل الخيوط التي تكون نسيج الأمم. سواء كانت خيوطا عرقية أو طائفية أو اقتصادية أو ثقافية. ويدرس أيضا مدى الاختلاف والوحدة بين كل هذه الخيوط وهل هناك تباين حقيقي يمثل مشكلة أم أن التباين شكلي خاص. إن كثيرا من الاختلاف يبني على أوهام قد تكون سائدة بين الجهلة ويمكن تجاوزها بالتنقيف. ثم لا بد من توهين الصراع التاريخي ما أمكن بإلقاء الضوء على أوهام قد تكون سائدة بين الجهلة ويمكن تجاوزها بالتنقيف ثم لا بد من توهين الصراع التاريخي ما أمكن بإلقاء الضوء على الروايات التاريخية. ثم لا بد من تعميق الفهم لعناصر التحدي الحضاري في الحاضر والمستقبل حتى يستشعر الفرقاء أهمية التوحد.

: هو أن الثقافة لا بد أن تعين وتساعد على تقبل المفاهيم التنموية فهناك أنواع من التنمية تختلف في أهدافها ووسائلها عن التنمية في المفاهيم الغربية. وليس علينا حرج أن نحدد تنمية قاصدة تتناسب مع ظروفنا مع ملاحظة أن التنمية التي يفرضها الغرب علينا تزيد من تخلفنا وتبعيتنا له ولا بد أن تساعد الثقافة على نشر وتقبل هذه المفاهيم التنموية الجديدة والمختلفة.

: هو أن تحتوي الثقافة على عنصر الترويج الذي يعين المؤمن المكودف هذا الترويج لا بد أن يشجع على الاستغراق النفسي والروحي بالعبادة وأن يشجع الرياضة الجماعية والسمو الجماعي في تنافس صحي ويشجع على السير في الأرض ورؤية آثار الأمم الغابرة ويشجع الآداب من قصة وشعر ونوادر ويبتعد تماما عن الابتذال والميوعة.

: أن تقوم الثقافة بتبيان موقف الإسلام من قضايا الحياة بمختلف جوانبها تبينا علميا

شاملا.

: أن تكون الثقافة لشحن الفعالية الروحية عند الفرد حتى يصبح ذا همة حضارية وتوجه إصلاحي. فالفرد هو البنية الأساسية التي يقوم عليها أي عمران.

: أن تكون الثقافة لتقوية المنهج العلمي الإسلامي عند المثقفين صانعي القرار

فتربية الأجيال المسلمة على المنهج الإسلامي تحتاج إلى برنامج ثقافي مصاحب يعين على التدريب على المنهج حتى يصبح ملكة عند المثقفين وصانعي القرار ولقد أفلحت نظم التعليم في الغرب على تربية الناس على طرائق للتفكير أكثر قربا مما نبتغيه من تربية إسلامية من كثير من طرائقنا التربوية

في بلاد المسلمين.

: هو أن تعمل ثقافتنا على بيان التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة وإسقاط ذلك

على دور الفرد فأحيانا لا ينقص الناس الهمة والإخلاص وإنما ينقصهم فهم عناصر التحدي الحضاري على مستوى الفرد والجماعة ومن ثم فإنهم يتوجهون بهذه الهمة في غير مقصدها الأمثل.

وهكذا فإن التخطيط الثقافي لهذا الطيف السباعي يمثل تحديا عظيما للتيارات الإصلاحية فهي لم تعطه حقه من البحث فضلا عن المنظومات الثقافية المتاحة لدينا حاليا التي يصب معظمها في الترفيه والسياحة التاريخية. إن تخطيطا ثقافيا محكما يسرع بخطى الأمة نحو أهدافها العظيمة ويسهل مهمة القيادة الحكومية في الوصول إلى أي هدف تنموي.

\*

ي ي

ي ي ي ي .. ي ؟

\*\* لقد أسهمت في هذا الخصوص بدعوة جديدة وهي ما أسميته "المنظومة الغائبة في فكرنا الصناعي" حيث دعوت إلى وقف هيئة للتنمية الابتكارات في عالمنا الإسلامي وقلت: إن هذه الهيئة هي الجهد الشعبي في اتجاه التصنيع ونحن هنا ينبغي أن نحدد دور الدولة ثم دور الأمة ثم دور الاقتصاديين.

ي " ي "

إن هذه القناة كانت تتفق فيها أعمال النفوس الخيرة وسد هذا الطريق مصيبة كبرى فأننا كمتخصص في مجال الطيران عاطل بلا عمل لأن الدولة لا تتبنى سياسات تصنيعية في هذا المجال ولو أن الأمة بأوقافها أنشأت هيئة علمية أوقفها على هذا المال التكنولوجي لتغير الحال تماما. ومفهوم الوقف هنا يجب أن يتحول ليسهم في التقدم التقني فلم يعد مقبولا أن يوقف المال على العمارات والأراضي الزراعية وإنما يجب أن يوقف على مشروعات علمية دقيقة تضع الأمة على أعتاب التقدم.

**ودور الدولة في هذا الأمر هو أن يكون لديها فلسفة للتنمية** فالدولة تهمل تقنية التعليم كما أن الإعلام التقني مفقود فنحن لدينا الكثير من القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية ليس بها أية قناة أو إذاعة تقنية. كما يجب على الدولة أن يكون لها سياسات واضحة لحماية منتجاتها الوطنية وسياسة تشريعية تفرض الهندسة العكسية بمعنى أنه من أراد أن ينشئ مصنعا جديدا فليستورد ما يحتاجه في البداية ولكن عليه أن يصنع ما يحتاجه بعد ذلك بجهوده الهندسية والتطويرية. كما أننا ليس لدينا تشريعات تفرض البحوث التطويرية في مصانعنا.

**وبالنسبة لدور الاقتصاديين فيجب أن يظهر المال المغامر الذي يتحدى المجهول.** إن الآلية التي تتقدم بها الصناعة الأمريكية هي آلية المال المغامر أما لدينا فالبنوك تستثمر أموالها في المضمون وتبتعد عن المشروعات القومية التي تنفع المسلمين وما تقوم به هذه البنوك يمكن أن يقوم به أي تاجر. لماذا لم يقم هؤلاء ببحوث في الصناعات الحربية والطائرات والزراعات المتطورة؟.

وهكذا فإن هذه المنظومة الثلاثية الأبعاد (دور الفرد - دور الأمة - دور الدولة) يجب أن يعاد النظر فيها فلا ينبغي أن نجد الدولة حيث ينبغي أن نفتقدها ولا أن نفتقدها حيث ينبغي أن نجدها.

